

المُحدِّث البحرانيّ بوصفه مُفسِّراً

إبراهيم عليّ السفسييف

انصبَّ أغلب الجهد البحثيِّ، حول شخصيَّة المُحدِّث البحرانيّ الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرازيّ البحرانيّ (١١٠٧ - ١١٨٦هـ)، في دراسة تراثه الفقهيِّ ولاسيِّما دراسة كتابه الأبرز والأشهر "الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة"، والمطبوع في ستّة وعشرين مجلِّداً.

فمثلاً، كتب الشيخ محسن آل عصفور "الشيخ يوسف آل عصفور ومنهجه العلميِّ"، والشيخ الدكتور خالد العطية "الحدائق الناضرة للمُحدِّث البحرانيّ: دراسة مقارنة في المنهج"، وغيرها من الكتب والبحوث العلميَّة -حبذا لو تُرصد في بيبيوجرافيا خاصّة-.

بيد أنّ الباحث حسين محمّد عبد الخضر الدربنديّ، في رسالته للحصول على شهادة الماجستير من كليَّة القرآن والحديث بجامعة الأديان والمذاهب في جمهوريَّة إيران الإسلاميَّة -قُدِّمت في يناير ٢٠٢٤م-، ارتأى أن يدرس بُعداً غير مدرّوس في حياة الشيخ المُحدِّث، وهو البعد القرآنيّ. فبحث "معالم الآراء التفسيرية لدى الشيخ يوسف البحرانيّ في كتابه الحدائق الناضرة".

حيث يُؤكّد إمكانيّة اعتبار الشيخ من المُفسّرين للقرآن الكريم؛ لتفسيره عددًا من الآيات القرآنيّة المتعلّقة بآيات الأحكام ، إضافة إلى تضمّنها مجموعة من البحوث القرآنيّة، التي -وبحسب إحصائه- تقع في ٣٠٠ موضع من موسوعته الفقهيّة.

فبعد الفصل الأوّل، الذي تعرّض فيه لمشكلة البحث وكليّاته ومفاهيمه مع الإضاءة على شخصيّة الشيخ المحدث، انطلق الباحث إلى صلب موضوعه في فصلين، فقد خصّص الفصل الثاني لدراسة معالم منهج الشيخ في عرض القضايا التفسيرية في الحقائق: فبدأ بالمباحث القرآنيّة العامّة، ك: المباحث المتعلّقة باللغة، والمنهج في معرفة القرآن، والسياق القرآنيّ، وحمل الألفاظ على الحقيقة الشرعيّة و... ثمّ المباحث المتعلّقة بعلم التفسير ، ك: عدم مشروعية تفسير القرآن بالعقول والآراء، والتفسير الباطنيّ والظاهريّ، والأبعديّة والأقربيّة في التفسير و... وثلث بالمباحث المتعلّقة بأصالة القرآن كمصدر تشريع، ك: انحصار الأدلّة في الكتاب والسنة، والفرق بين أوامر الكتاب وأوامر السنة، وتخصيص عموم القرآن بأخبار الآحاد و... إضافة إلى مباحث متفرّقة ك: الاستدلال بالآيات القرآنيّة على المسائل العقديّة، وحجّة الظهور القرآنيّ و...

أمّا الفصل الثالث، فخصّصه لدراسة بعض الجوانب التحليليّة في آرائه المتعلّقة بالتفسير وبعض علوم القرآن، ك: النسخ في القرآن، وقضيّة تحريف القرآن، ومسألة هل يستنبط المعصوم الحكم الشرعيّ من القرآن، و...

وبكلّ حال، الرسالة حافلة بنتائج شيّقة تحتاج إلى توسيع وتعميق في بحوث أخرى. ولعلّ أبرزها بحث آيات الأحكام -المعروفة بـ"فقه القرآن"- في الحقائق جمعًا ودراسة.